عند الله فهو من اجهل الناس بحق الرب تعالى وكل ما يجعل له ويمتنع عليه فان هذا محال ممتنع شبيه قياس الرب تعالى على الملوك والكبر احيث يتخذ الرجل من خواصهم و اوليائهم من يشفع له عندهم في الحوائج وبهذا القياس الفاسد عبدت الاصنام واتخذ المشركون من دون الله الشفيع والولي والفرق بينهما هو الفرق بين الخالق والمخلوق والرب والعبد والمالك والمملوك والغني والفقير والذي لا حاجة به الى احد قط والمحتاج من كل وجه الى غيره والشفعاء عند المخلوقين هم شركاؤهم فان قيام مصالحهم بهم وهم اعوانهم وانصارهم الذين قيام امر الملوك والكبراء بهم ولولاهم لما انبسطت ايديهم والسنتهم في الناس فلحاجتهم اليهم يحتاجون الى قبول شفاعتهم وان لم يأذنوا فيها ولم يرضوا عن الشافع لانهم يخافون ان يردوا شفاعتهم فتنقص طاعتهم لهم ويذهبون الى غيرهم فلا يجدون بدا من قبول شفاعتهم على الكره والرضى فاما الغني الذي غناه من لوازم ذاته وكل سواه فقير اليه بذاته وكل من في السموات والارض عبيد له مقهورون بقهره مصرفون بمشيته لو اهلكهم جميعا لم ينقص من عزه وسلطانه وملكه وربوبيته والهيته مثقال ذره قال تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم وامه ومن في الارض جميعا ولله ملك السموات والارض وما بينهما الاية وقال تعالى في سياق آية الكرسي له ما في السموات وما في الارض من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وقال قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض فاخبر ان حال ملكه للسموات والارض يوجب ان تكون الشفاعة كلها له وحده وان احدا لا يشفع عنده الا باذنه فانه ليس بشريك بل مملوك محض بخلاف شفاعة اهل الدنيا بعضهم عند بعض فتبين ان الشفاعة التي نفاها الله سبحانه في القرآن هي هذه الشفاعة الشركية التي يحكمها الناس ويفعلها بعضهم مع بعض ولهذا يطلق نفيها تارة بناء على انها هي المعروفة المتعاهدة عند الناس ويقيدها تارة بانها لا تنفع الا بعد اذنه وهذه الشفاعة في الحقيقة هي منه فانه الذي اذن والذي قبل والذي رضي عن المشفوع والذي وفقه لفعل ما يستحق به الشفاعة وقوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين فتخذ الشفيع مشركا لا تنفعه شفاعته ولا يشفع فيه وتتخذ الرب وحده الاله ومعبوده ومحبوبه ومرجوه

ومخوفه

يعرفها ٢

ومخوفه الذي يتقرب اليه وحده ويطلب رضاه ويتباعد من سخطه هو الذي باذن الله سبحانه للشفيع ان يشفع له قال تعالى ام اتخذوا من دون الله شفعاء قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا وقال تعالى ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون فبين سبحانه ان المتخذ من شفعاء مشركون وان الشفاعة لا تحصل باتخاذهم وانما تحصل باذنه للشافع ورضاه عن المشفوع له وسر الفرق بين الشفاعتين ان شفاعة المخلوق للمخلوق وسواله للمشفوع عنده لا يفتقر فيها الى المشفوع عنده لا خلقا ولا امرا ولا اذنا بل هو سبب محرك له من خارج كسائر الاسباب التي تحرك الاسباب وهذا السبب المحرك قد يكون عند المتحرك لاجله ما يوافقه كمن يشفع عنده في امر يحبه ويرضاه وقد يكون عنده ما يخالفه كمن يشفع اليه في امر يكرهه ثم قد يكون سواله وشفاعته اقوى من المعارض فيقبل شفاعة الشافع وقد يكون المعارض الذي عنده اقوى من شفاعة الشافع فيرده ولا يقبلها وقد يتعارض عنده الامران فيبقى متردد ابين ذكر المعارض الذي يوجب الرد وبين الشفاعة التي تقتضي القبول فيتوقف الى ان يترجح عنده احد الامرين بمرجح فشفاعة الانسان عند المخلوق مثله هي سعي في سبب منفصل عن المشفوع اليه يحركه به ولو على كره منه فمنزلة الشفاعة عنده منزلة من يشفع بامر غيره او يكرهه على الفعل اما بقوة وسلطان واما برغبة فلا بد ان يحصل للمشفوع اليه من الشافع اما رغبة ينتفع بها واما رهبة منه تندفع عنه بشفاعته وهذا بخلاف الشفاعة عند الرب سبحانه فانه ما لم يخلق شفاعة الشافع ويأذن له فيها ويحبها منه ويرضى عن المشفوع له لم يكن ان يوجد والشافع لا يشفع عنده لحاجة الرب اليه ولا لرهبته منه ولا لرغبته فيما لزمه وانما يشفع عنده مجرد امتثال لامره وطاعة له فهو مأمور بالشفاعة مطيع بامتثال الامر فان احدا من الانبياء والملائكة وجميع المخلوقات لا يتحرك بشفاعة ولا غيرها الا بمشيته الله وخلقه فالرب تعالى هو الذي يحرك الشفيع حتى يشفع والشفيع عند المخلوق هو الذي يحرك المشفوع اليه حتى يقبل والشافع عند المخلوق مستغن عنه في اكثر اموره

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)